إيران.. تاريخ من «التحالف مع الشيطان»

أعد الملف
شريف عبدالحميد

كان لإيران على مر العصور، تاريخ طويل وشائن من التحالفات مع أعداء العروبة والإسلام، ففي القرن الخامس عشر، تحالفت «الدولة الصفوية» التي أدخلت الدين الشيعي إلى البلاد بالقوة، مع الإمبراطورية البرتغالية الصاعدة آنذاك من أجل تمكينها من احتلال دول الخليج العربي، في حين كانت نوايا البرتغاليين المعلنة على الملأ، والتي تم تبادلها في رسائل مدونة بين الملوك الصفويين والقادة البرتغال، هي السيطرة على شبه الجزيرة العربية، ومحو اسم النبي محمد (عليه الصلاة والسلام) منها!

كما تحالف الصفويون فيما بعد مع أمراء فينسيا الإيطالية وملوك المجر والبلغار، ضد الخلافة العثمانية التي كانت ترفع راية الإسلام في فتوحاتها الأوروبية، فحالوا بينها وبين استكمال هذه الفتوحات بعد سقوط «القسطنطينية» واحتل الشاه الصفوي بغداد، بينما كان العثمانيون على وشك أن يفتحوا «فيينا» عاصمة النمسا حاليا.

وفي التاريخ القريب، تحالفت إيران مع أمريكا لغزو العراق عام ٢٠٠٣، واحتلاله، وعاثت مع الأمريكيين فيه فسادا، وأسهمت بذلك في تحطيم أحد أهم القوى العربية في معادلة موازين القوة على مستوى الشرق الأوسط، كما مهدت الطريق لظهور تنظيم «داعش» الإرهابي الذي نشر الخراب والدمار في المنطقة برمتها.

وأخيرا، وليس آخرا، دخلت طهران في حلف شيطاني آخر أسهم في مزيد من الدمار في المنطقة العربية، بتحالفها مع الروس ضد الشعب السوري، لمنع سقوط حليفهم الدموي الثالث بشار الأسد إثر ثورة مارس ٢٠١١.

وفي هذا الملف نرصد أهم وأخطر تحالفات إيران الشيطانية، على مر الأزمنة، منذ القرن الخامس عشر وحتى اللحظة السياسية الراهنة:

وقائع الخيانة «الصفوية» لاحتلال الخليج العربي

■■ عمد الفرس منذ نحو ٥ قرون إلى إضعاف العالم العربي، بشتى الطرق، ولو كان ثمن ذلك هو «التحالف مع الشيطان» نفسه، للانفراد بأسباب القوة والنفوذ على دول الخليج العربي بشكل خاص، وذلك بحكم موقعها الاستراتيجي المهم، وباعتبارها «حديقة خلفية» للأطماع الإيرانية!

وهكذا، أدخلت الدولة «الصفوية» التي أرغمت الشعوب الإيرانية على التشيع بالقوة، الاستعمار الأجنبي إلى منطقة الخليج العربي في القرن الخامس عشر الميلادي، ومهّد «الصفويون» من خلال معاهداتهم وتحالفاتهم مع الأوروبيين الطريق للدول الاستعمارية للتواجد في المنطقة واحتلالها، بل والتعاون معهم لتحقيق ذلك الهدف الشيطاني.

وهذه الخيانة التاريخية، تستوجب التذكير بأنه إذا كان ملالي إيران الكاذبين يتظاهرون اليوم بلعن أميركا على الملأ بدعوى أنها «الشيطان الأكبر» ويرفعون شعارات «الموت لأميركا، الموت لإسرائيل» فإن أجدادهم من «الصفويين» هم أول من أدخل الاستعمار إلى منطقة الخليج العربي، وسهّلوا احتلاله، كما سهّلت إيران في التاريخ المعاصر لأميركا احتلال أفغانستان والعراق.

«الصفويون» تحالفوا مع البرتغاليين لإدخال الاستعمار الأوروبي إلى منطقة الخليج

خيانة تاريخية

بدأ البرتغاليون والصفويون بتبادل الرسائل الودية بينهما منذ اليوم الأول لوصول الأساطيل البرتغالية إلى نطاق المياه العربية، حيث دخلوا إلى مياه الخليج في عام ٩١٢هـ/ ١٥٠٧م، أي بعد سنوات قليلة من تأسيس الدولة الصفوية، وكانوا قبل ذلك احتلوا جزيرة «سقطرى» قبالة الساحل اليمني، لكنهم شعروا بعدم جدوى احتلال هذه الجزيرة، نظرا لفقرها في الموارد الطبيعية، ومن ثم حاولوا احتلال عدن، لكنه لم يستطيعوا ذلك فرأوا أن يتجهوا شطر الخليج العربي.

وخشي القائد ألفونسو البوكيرك، الحاكم البرتغالي في الهند، أن يثير تحركه هذا حفيظة الشاه إسماعيل الصفوي، أول حكام الدولة الصفوية، فأراد أن يكسب وده، ويأمن جانبه، ولكي يخيف بهذا التقرب عرب الخليج، فأرسل «البوكيرك» إلى الحاكم «الصفوي» رسالة جاء فيها: «إني أقدّر لك احترامك للمسيحيين في بلادك، وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند، وإذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو أن تهاجم مكة، ستجدني بجانبك في البحر الأحمر أمام جدّة أو في عدن أو في البحرين أو في القطيف أو في البصرة، وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي، وسأنفذ له كل ما يريد».

وفي تلك الفترة، عُقدت اتفاقية بين الشاه إسماعيل الصفوي و «البوكيرك» نصت على أن تصاحب قوة بحرية برتغالية «الصفويين» في حملتهم على البحرين والقطيف، وتتعاون البرتغال مع الدولة الصفوية في إخماد الثورات التي نشبت وقتها في بلوجستان ومكران، وأن تصرف حكومة إيران النظر عن جزيرة «هرمز» في مياه الخليج، وتوافق أن يبقى حاكمها تابعاً للبرتغال.

وارتبطت أهداف البرتغاليين ومخططاتهم منذ بداية حركة

الاستكشافات الجغرافية أساسا بالعمل للسيطرة على طرق التجارة العالمية في المحيط الهندي، وانتزاعها من أيدي العرب والمسلمين، ولاسيما تلك الطرق التي تمر بالخليج والبحر الأحمر.

وكان هدف البرتغاليين من السيطرة على الخليج إغلاق هذه الطرق بوجه التجار العرب والمسلمين، وذلك لإضعاف العالمين العربي والإسلامي اقتصاديا، والقضاء على الوساطة العربية التجارية بين أوربا والمناطق الآسيوية المنتجة للتوابل والعقاقير والعطور والذهب، ثم تحويل فوائد تلك التجارة إلى أيدي البرتغاليين.

وهكذا، ارتبط «الصفويون» باتفاقيات مع البرتغال منذ وقت مبكر، منذ عهد أول حكام الدولة الصفوية. وفي ذلك الوقت كانت البرتغال قوة استعمارية كبيرة، ففي القرن الخامس عشر الميلادي، كان البرتغاليون قد وصلوا إلى مناطق كثيرة في آسيا وأفريقيا. ولم يكد ذلك القرن يشرف على الانتهاء، حتى كان البرتغاليون قد اكتشفوا طريق «رأس الرجاء الصالح» حول قارة أفريقيا، واحتلوا الهند.

وبعد سيطرتهم على مناطق في آسيا، ومنها الهند، تطلع البرتغاليون صوب منطقة الخليج العربي والمشرق الإسلامي، إذ كانوا بصدد إنشاء امبراطورية مسيحية كبيرة في الشرق، ولم يكتفوا بالسيطرة على الطرق الرئيسية للتجارة العالمية، وإنما عمدوا إلى إحكام سيطرتهم على الطرق البحرية الفرعية الأخرى حتى تصبح جميع منافذ التجارة في أيديهم، بحكم أن الخليج العربي هو شريان التجارة المهم إلى نهر الفرات وسواحل الشام.

واجتمعت لدى البرتغاليين أسباب دينية واقتصادية لاحتلال الخليج، أولها سيطرة «الروح الصليبية» على الجنود البرتغاليين الذين نشأوا في وقت احتدام الصراع بين المسلمين والنصارى في الأندلس، فأشربوا في قلوبهم الرغبة الجارفة في الانتقام من المسلمين، الأمر الذي كان يوجب على الدولة الصفوية محاربتهم دفاعا عن أرض الإسلام، غير أنهم – على العكس- تحالفوا معهم ضد العرب والمسلمين!

قدم الصفويون الخليج للبرتغاليين على طبق من ذهب، ولم يكونوا يأبهون لأغراض البرتغاليين الدينية والاقتصادية، مادامت تحالفاتهم معهم ستؤدي إلى إضعاف الدولة العثمانية، العدو اللدود للصفويين، وإذلال الإمارات السنيّة، وفي سنة ١٥١٥م ذهب سفير الشاه إسماعيل الصفوي إلى مملكة هرمز التي كانت تحت سيطرة البرتغاليين، وحمل عدة مطالب واقتراحات للبرتغاليين، أهمها:

١ ـ تقدم البرتغال بعض سفنها لإيران كي تمكنها من غزو البحرين والقطيف.

٢ ـ يساعد البرتغاليون الشاه في قمع تمرد قام ضده في مكران.

٣ ـ يتنازل الشاه للبرتغاليين عن «جوادر» على ساحل بلوخستان.

٤ ـ تتحد الدولتان في مواجهة الدولة العثمانية.

٥ ـ تصرف حكومة إيران النظر عن مملكة هرمز، وتوافق على أن يبقى حاكمها تابعاً للبرتغال، وألاّ تتدخل في شؤونها الداخلية.

ويذكر المؤرخون أن البرتغاليين كانوا يفكرون بتأجيل احتلالهم للخليج لانشغالهم بالهند، لكن عرض الصفويين للبرتغاليين عجل بغزوهم واحتلالهم للخليج العربي.

الاعتداء على «مكة والمدينة»

لم يقتصر تحالف الخيانة الصفوي مع البرتغاليين فحسب، بل تعدّاه إلى التحالف مع إيطاليا وإسبانيا والمجر وهولندا وبريطانيا، الأمر الذي أوجد لهذه القوى الاستعمارية أيضاً موطئ قدم في منطقة الخليج.

ويتجلى ذلك في التحالف الذي قام بين الصفويين والأوربيين، وفي مقدمتهم البرتغاليون، لمهاجمة الدولة العثمانية السنيّة، وبعض الإمارات السنيّة المستقلة، ومعلوم أن التواجد البرتغالي في منطقة الخليج العربي، واحتلال بعض المناطق الإسلامية، كان امتداداً للحروب الصليبية.

وذكرت المراسلات التي تمت بين ملك البرتغال ورجال الدولة الصفوية أنه إذا «سيطر البرتغاليون على بعض مناطق الخليج كالبحرين والقطيف، فإن الطريق إلى الأراضي المقدسة من ناحية الشرق ستصبح ممهدة للسيطرة البرتغالية على مكة والمدينة، وانتزاع اسم محمد صلى الله عليه وسلم من الجزيرة العربية كلها».

وهكذا لم يجد «الصفويون» مانعاً من مساندة البرتغاليين في محاولتهم الاعتداء على «مكة والمدينة»، ما دام تحالفهم معهم سيؤدي إلى إضعاف الدول السنيّة.

وفي هذا الصدد، أظهرت وثائق كشف عنها الأكاديمي الدكتور عبد الرحمن عبد الله الشيخ، أستاذ التاريخ الحديث سابقاً في جامعة الملك سعود بالرياض، عن خطة لم يكتب لها النجاح الكامل حاك خيوطها الاستعماري العريق ألفونسو البوكيرك والشاه إسماعيل الصفوي أيضا، ومؤدى هذه الخطة أن يعمل الشاهُ على شغلِ السلطانِ المملوكي في مصر حتى يتمكن البرتغاليون من التوغل في البحر الأحمر والاستيلاء على جدة، ومن ثم الوصول إلى مدينة «السويس»، مما أدى لإرباك السلطان المملوكي، الذي تمكن في النهاية من الصمود أمام هذا المخطط «الفارسي- البرتغالي».

قائد برتغالي للشاه «إسماعيل»: إذا أردت أن تنقض على بلاد العرب أو أن تهاجم «مكة» ستجدني بجانبك!

الصفويون.. خنجر في ظهر الخلافة العثمانية

■■ بينما كانت الدولة العثمانية تعزو ممالك أوروبا في القرن السادس عشر، رافعة راية الإسلام، ومدافعة عن الدول العربية من هجمات الحروب الصليبية، كانت الدولة «الصفوية» بمثابة خنجر في ظهر العثمانيين، حال الصفويون المؤامرات بالتعاون مع ملوك أوروبا للقضاء على القوة العثمانية الإسلامية.

تأسست الدولة الصفوية سنة ٩٠٧هـ- ١٥٠٢م، على يد الشاه إسماعيل بن حيدر الصفوي، الذي أقام كيان الدولة وأرسى قواعدها في إيران، وفرض فيها المذهب الشيعي بالقوة، ثم تـوّج الشاه إسماعيل نفسه ملكاً على إيران بعد انتصاره على القبائل التركمانية الحاكمة.

حرب إنهاك دولة الخلافة

شكّل قيام الدولة الصفوية في إيران تهديدا بديهيا لاستقرار مقاطعات الأناضول التابعة للإمبراطورية العثمانية، بسبب تأثير الصفويين على سكان تلك المناطق من أجل تحقيق غاياتهم السياسية، حسيث أدى ظهور الصفويين إلى فترة عدم استقرار داخلي في الأناضول العثماني، واجهت السلطان العثماني بايزيد الثاني (١٤٨١ _ ١٥١٢م)، الذي كان عليه الاستعداد لمواجهة الدولة الوليدة.

ولم تكن المواجهة «الصفوية-العثمانية» مواجهة عثمانية سنية للدولة الشيعية الجديدة في إيران فحسب، وإنما كرد فعل عثماني على الطموحات السياسية التوسعية للصفويين في الأناضول، إذ خططت القيادة الصفوية للانضمام إلى التمرد الواسع في الأناضول عام ١٥٠٠م . لكن الخطوات التي اتخذها العثمانيون حرمتهم من المشاركة في هذا التمرد.

وبعد استتباب الأمر للصفويين، كان من المنطقي أن تتوجه بعدائها إلى دولة الخلافة العثمانية، طمعا في إقامة الإمبراطورية الصفوية على أنقاض دولة العثمانيين، فتحالف الصفويون مع الأوربيين، وفي مقدمتهم البرتغاليون، لمهاجمة أراضي الدولة العثمانية، وبعض الإمارات الأخرى المستقلة.

وبينما كان العثمانيون ينطلقون في فتوحاتهم شمالاً وغرباً باتجاه أوروبا، مستمرين دفاعهم عن الإسلام

ضد الاستعمار الأوروبي، الذي كان الوريث الشرعي للحملات الصليبية، بدأ الصفويون ومنذ عهد المؤسس الشاه إسماعيل بافتعال الاضطراب على الحدود الشرقية للدولة العثمانية، وباغتوا جيش الخلافة من الخلف، الأمر الذي جعل السلطان «سليم الأول» يخرج لملاقاة الصفويين بعد أن شعر بخطرهم، واستمرت الحروب بين الخلافة العثمانية وبين الصفويين زمناً طويلاً، وبالرغم من انتصار العثمانيين في معظمها إلا أن هذه المعارك استنزفتهم وأنهكتهم وأعاقت فتوحاتهم ونشرهم للإسلام في القارة الأوروبية.

وأثّر القتال الذي دار بين الدولة العثمانية والصفويين تأثيراً مباشراً على الدولة العثمانية سواء في المجال العسكري وتقدمها في الفتوحات في أرض أوروبا أو في اقتصاد الدولة .

كما أثّر القتال على إيرادات الدولة العثمانية من الجمارك التي كانت تحصلها من الطرق القديمة في الأناضول، إذ أقفلت معظم الطرق التجارية القديمة التي سادها الخطر، وصار التبادل التجاري بين الأقاليم الإيرانية والعثمانية محدوداً؛ في حين تحولت سيطرة البرتغال على البحار الشرقية إلى حصار شامل لكل الطرق القديمة بين الشرق والغرب عبر منطقة الشرق الأوسط، التي كانت حينئذ تحت سيطرة الدولة العثمانية.

ولكن بعد الهزيمة المرة التي لحقت بالشاه إسماعيل الصفوي في موقعة «جالديران» عام ٩٢٠هـ أمام السلطان العثماني سليم الأول، تحرك الشاه للتحالف مع الأوروبيين لتغطية الهزيمة، فأقام العلاقات مع البرتغاليين في أول الأمر، ثم تحالفا معا ضد العثمانيين.

وتمكن الشاه إسماعيل من الفرار إلى أذربيجان بعد هذه الهزيمة، ودخلت الجيوش العثمانية «تبريز» عاصمة الدولة الصفوية، ومهدت الطريق لدخول السلطان سليم فدخلها فاتحاً منتصراً.

وحاك الشاه عباس كذلك مؤامرات مع الجانب الإسباني، القوة العسكرية الناهضة آنذاك، فقد قدّم عباس عروضاً للإسبان عن طريق البنادقة لكي يتقاسما أراضي الدولة العثمانية، فتحصل الأولى على الجزء الأوروبي منها، وتستأثر الثانية بالآسيوي.

وكانت إمارة فينيسيا من الدول المتأثرة تجارياً بسبب قضاء العثمانيين على الدولة البيزنطية وإغلاقها الطريق الرئيسي للتجارة بين أوروبا وآسيا، فأرسل الشاه إسماعيل السفراء إلى بلاط فينيسيا طالباً من أميرها الهجوم على العثمانيين عن طريق البحر، وأن يقوم هو بالهجوم من ناحية البر، بشرط أن تسترد فينيسيا قواعدها التي فقدتها في البحر الأبيض المتوسط.

على أسوار «فيينا»

بعد وفاة الشاه إسماعيل، خلفه ابنه «طهماسب» في الحكم، واستمر الابن على نهج أبيه، فتحالف مع ملك المجر ضد العثمانيين، عدوهما المشترك، فوجه الخليفة سليمان القانوني حملة عسكرية كبرى إلى إيران لقتال الصفويين، لكنه حول قواته ضد المجر نظراً لحيوية هذه الجبهة وأهميتها في مواجهة الأوروبيين المتحالفين معا ضد الخلافة العثمانية.

وظلت الحرب الضروس بين العثمانيين والصفويين سجالاً وحدثت عدة معاهدات صلح، لكن الجانب الصفوي كان دائم النقض لهذه المعاهدات لأنه كان يشعر بضعف الدولة العثمانية في ذلك الوقت.

وأدت هذه الحروب إلى أن يرجع القادة العثمانيون من فتوحاتهم في أوروبا ليوقفوا الزحف الصفوي على الأراضي السنية، كما حدث مع سليم العثماني، وكما حدث مع السلطان سليمان حينما حاصر مدينة «فيينا» عاصمة النمسا الآن عام ١٥٢٩م، وكان يدك أسوارها لمدة ٦ أشهر وكاد أن يفتحها لولا أن طارت إليه أنباء من الشرق جعلته يكر راجعاً إلى استانبول، بعد أن احتل الصفويون «بغداد».

ورمى العثمانيون بكل ثقلهم ونفوذهم في العراق العربي، واستقر لهم الأمر في الموصل والخليج واليمن وعدن وأصبحت لهم قواعد بحرية متقدمة تمكنهم من صد البرتغاليين، والحد من التعاون بين الإيرانيين والأوروبيين في منطقة الخليج، ووصل الأسطول العثماني إلى سواحل الهند (٩٥٩ هـ/ ١٥٥١م) وأصبح قادراً على التجول بين البصرة والسويس. وكل ذلك فوت الفرصة على الإيرانيين لتنمية وتطوير التحالف مع القوى الصليبية التي عادت مرة أخرى إلى منطقة الخليج العربي في ثوب استعماري.

ويقول الدكتور محمد عبد اللطيف هريدي في كتابة «الحروب العثمانية الفارسية» إن «من أسباب تردي الدولة العثمانية وتحولها من القوة إلى الضعف، هو حروبها مع الدولة الصفوية، إذ كانت هذه الحروب من الضراوة وطول الأمد بما يكفي لإنهاك العثمانيين وضعفهم ومن ثَم عدم قدرتهم على الصمود في الجبهات الأوروبية مما يعني انحسار المد الإسلامي عن أوروبا».

ويضيف «هريدي» «وهكذا، بدلاً من أن يضع الصفويون يدهم في يد العثمانيين لحماية الحرمين الشريفين من التهديد البرتغالي ولتطهير البحار الإسلامية منهم، وضعوا أنفسهم في خدمة الأسطول البرتغالي، لطعن الدولة العثمانية من الخلف، ورغم انتصار العثمانيين عليهم فإن الحروب معهم كانت استنزافاً لجهود العثمانيين على الساحة الأوروبية وعرقلة للفتوحات الإسلامية».

غير أن هذا الصراع «العثماني-الصفوي» لم يتوقف، بل استمر حتى عهد السلطان عبدالحميد خان الثاني (١٢٩٣- ١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦- ١٩٠٩م) الذي كان يؤكد في كل مناسبة أن إيران خطر محدق على العالم الإسلامي وعلى أهل السنة.

وانتهت دولة الصفويين سنة ١١٤٨هـ على يد نادر خان الذي كان في أول أمره من قطاع الطرق، وكان يتمتع بالطموح والذكاء، وقد تمكن بجيش من أفراد قبيلته «الأفشار» من الاستيلاء على إقليم خراسان، وأخذ يمسك بزمام الأمور في هذا الإقليم، وظهرت قوته، مما جعل الشاه طهماسب الثاني يستعين به، ويعينه قائداً لجيشه، واستطاع أن يصبح أقوى شخصية في إيران بعد تحقيقه لعدة انتصارات ضد منافسي الدولة، معلنا سقوط الدولة الصفوية.

خفايا التحالف «الإيراني- الأمريكي» في العراق

التنسيق المشترك بين واشنطن وطهران ضد صدام حسين بدأ بعد حرب «تحرير الكويت» عام 1991

■■ لم يمنع «العداء المعلن عنه» بين إيران والولايات المتحدة، طهران من التواطؤ ضد الأمة العربية بأكملها في ملف غزو واحتلال العراق عام ٢٠٠٣، وهو الغزو الذي أدى إلى ظهور تنظيم «داعش» الإرهابي فيما بعد، ذلك التنظيم الذي لعب دورا أساسيا في تخريب كل من العراق وسوريا، لمصلحة أعداء الأمة العربية.

وعلى الرغم من الحملات الكلامية المتبادلة بين النظام الإيراني والولايات المتحدة، واستعمال الملالي في خطبهم السياسية عبارات نارية مثل «الشيطان الأكبر» وغيرها من الشعارات الفارغة للاستهلاك الإعلامي، فقد تواطأت إيران مع أمريكا لغزو واحتلال العراق عام ٢٠٠٣، لأسباب عديدة على رأسها إسقاط الرئيس الراحل صدام حسين، عدوهما المشترك.

بدأ التنسيق «الإيراني- الأمريكي» المشترك ضد العراق بعد حرب تحرير الكويت عام ١٩٩١، حيث عُقدت عدة لقاءات تنسيقية عديدة بين الطرفين في عدة دول منها سويسرا بعد أحداث ١١ سبتمبر «أيلول» مباشرة.

وحين تأكدت إيران أن الولايات المتحدة عازمة على غزو العراق واحتلاله، بدأت تتناغم مع واشنطن مرة بشكل علني ومرات عديدة بشكل سري، وحيثما أرادت واشنطن المساعدة من طهران، أبدى الإيرانيون سعادتهم بتقديمها، لأن طهران كانت تعلم جيداً أن إسقاط نظام «صدام» في العراق لا يمكن أن يتم إلا عن طريق الولايات المتحدة، بل الحقيقة أن الإيرانيين كانوا متلهفين لمساعدة الأمريكان في احتلال العراق واستمرار احتلاله بكل الوسائل المتاحة لهم على الأرض العراقية.

الاتفاق السري

تكشفت أسرار هذا التواطؤ الإيراني لاحتلال العراق على مدار الأعوام الماضية، حيث كشفت صحيفة «نيويورك تايمز» الأميركية في عام ٢٠١٦، النقاب عن اتفاق سري بين واشنطن وطهران سبق الغزو الأمريكي للعراق.

وذكرت الصحيفة أن اجتماعات سرية عقدت في «جنيف» بين محمد جواد ظريف، السفير الإيراني لدى الأمم المتحدة آنذاك، ومسؤولين أمريكيين كبار طلبوا من طهران الالتزام بعدم إطلاق الصواريخ والمضادات الأرضية على أي طائرة أمريكية تحلق «دون قصد» فوق الأراضي الإيرانية، وأن تسهم إيران بعد ذلك في تشجيع الشيعة العراقيين على المشاركة البناءة في الحكم.

وأكدت الصحيفة أنه بعد تعيين زلماي خليل زادة سفيراً لأمريكا في العراق عام ٢٠٠٥، واصل السفير دوره في فتح قنوات اتصال مع إيران، حيث أبلغ مسؤولين عراقيين إيران بأن واشنطن على استعداد للدخول في حوار مع طهران.

وقال «زادة» في كتاب له صدر أواخر عام ٢٠١٦، تحت عنوان «المبعوث»: «كنا نريد التزاما من إيران بأنها لن تطلق نيران مدافعها صوب الطائرات الأميركية التي تحلق من غير قصد فوق الأراضي الإيرانية، وهو ما حدث بالفعل».

وفي ٢٠٠٦ كانت هناك فرصة للحوار بين البلدين حيث وافق علي خامنئي، المرشد الأعلى الإيراني، على طلب تقدم به عبد العزيز الحكيم، السياسي الشيعي العراقي المحسوب

على إيران، بتكثيف المساعي والمحادثات مع واشنطن في الملف العراقي.

وأبلغ «زادة» المسؤولين الإيرانيين بأن إدارة الرئيس الأسبق جورج بوش «الابن» تريد تأسيس «حكومة ديمقراطية» في بغداد تكون في سلام مع جيرانها.

وأضاف «زادة» في كتابه أن التحرك الإيراني تجاه الغزو الأمريكي كان يتراوح بين الحماس الشديد لإسقاط «صدام» من سدة الحكم، وبين الخوف والريبة من تمكن الأمريكيين من زمام الأمور في العراق. ومن هذه المفهوم انطلقت الاستراتيجية الإيرانية في مواجهة التحدي القادم من الحدود الغربية.

وأكد السفير أن إدارة «بوش» تعاونت ونسقت مع الجنرال الدموي قاسم سليماني قائد «فيلق القدس» التابع لـ«الحرس الثوري» الإيراني عام ٢٠٠٦ حول الوضع السياسي في العراق، وأن «سليماني» التقى براين كروكر، السفير الأميركي الأسبق في كل من لبنان وأفغانستان والعراق والكويت؛ للتنسيق والتشاور حول احتلال العراق وأفغانستان.

من جانبها، قالت الصحفية الأمريكية هيلين كوبر أن الطائرات الأمريكية كانت تقصف العراق من الجو، وقاسم سليماني يقود القوات على الأرض، في تعاون عسكري كامل بين الولايات المتحدة وإيران، ولكن لا أحد منهما أراد أن يعلن ذلك صراحة على الملأ!

وقائع الخيانة المعلنة

بعد الغزو، تعامل الأمريكان مع الأذرع الإيرانية في العراق المحتل، حيث لا يخفى أن جل الأحزاب والمنظمات والمليشيات التي خانت وطنها وتعاونت مع الاحتلال كانت مؤسسة ومدربة في إيران، مثل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية وجناحه المسلح «فيلق بدر» وحزب الدعوة، وكان هؤلاء هم عصب النظام العراقي الجديد بعد الاحتلال.

وكان من المفترض أن تستثمر طهران المقاومة العراقية الباسلة للاحتلال الأمريكي لصالحها في صراعها «المعلن» مع الولايات المتحدة، إلا أن الذي جرى على الأرض كان بخلاف ذلك، حيث قامت أذرع الإيرانية الشيعية التي أمسكت بزمام السلطة باعتقال أفراد المقاومة أو حتى المشتبه بعلاقتهم مع المقاومة، وحتى خطباء المساجد الذي يحثون الناس على الصمود كان يتم اعتقالهم وقتلهم بطريقة بشعة.

وبعض الذين أفرج عنهم صرحوا أن بعض ضباط التحقيق كانوا يتكلمون الفارسية!

وأدى الاحتلال الأمريكي للعراق إلى حدوث تداعيات كبيرة على النظام الإقليمي العربي بأكمله، بل وعلى منطقة الشرق الأوسط برمتها، فقد خرجت إيران والولايات المتحدة الأمريكية من الغزو باعتبارهما «القوى الأساسية» في المنطقة، خاصة أن الاحتلال الأمريكي للعراق تجاوز مرحلة «إسقاط نظام عربي» إلى مرحلة تدمير مقومات الدولة العراقية، حيث قامت الولايات المتحدة بفرض عملية سياسية على أسس طائفية، بحيث ينقسم العراق إلى طوائف من سنة وشيعة وعرب وأكراد كل منهم يبحث عن دور في العملية السياسية.

وهذا هو بالضبط ما أرادته كل من الولايات المتحدة وإيران، حيث خرج العراق من ميزان القوى العرب ومن المعادلة الاستراتيجية خارج منطقة الخليج، وانشغل تماما بمشكلاته الداخلية، بعد أن كان من أهم الفواعل العربية في منطقة الشرق الأوسط.

وأضر الدور الإيراني بالعراق والعراقيين أكثر مما حقق لهم من مصالح، فقد كان سببا في عزل العراق عن حاضنته العربية الأم، فقد استطاعت إيران أن تسيطر على العراق من خلال إيصال مؤيديها من ساسة العراق إلى السلطة، ودعمهم للبقاء طويلا في سدة الحكم.

واعترف محمد علي أبطحي، نائب الرئيس الإيراني للشؤون القانونية والبرلمانية سابقا، في ختام أعمال مؤتمر «الخليج وتحديات المستقبل» الذي عقد في الإمارات في يناير ٢٠٠٤، بأن «بلاده قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربهم ضد أفغانستان والعراق، لولا التعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة»!

ويرصد المفكر الشيعي محمد حسين فضل الله «مبررات» العلاقة الخفية بين إيران وأمريكا، رغم العداء المعلن عنه بين الجانبين، قائلا: «أتصور أن السياسة الواقعية التي انتهجتها إيران في تطوير الأيديولوجيا على أساس الموازين الشرعية، لمصلحة الواقع السياسي والاقتصادي والأمني، يمكن أن تفسح المجال لتطوير العلاقات الإيرانية مع الواقع الدولي حتى مع أمريكا. وفي الواقع فإن الخطوط السياسية في إيران لا تمنع من علاقات مع أمريكا، ولكن مسألة التجاذب والجدية بين واشنطن وطهران هي مجرد مسألة شروط فقط، تخضع لمصلحة الطرفين معا، دون أي حساسيات سياسية أخرى».

كتاب العدد

الدولة الصفوية وأثرها على العالم الإسلامي

عرض: هيثم الكسواني (الراصد)
وحدة الدراسات والمعلومات - مجلة منارات

ما أشبه الليلة بالبارحة، فعلى الرغم من سقوط الدولة الصفوية في سنة ١١٤٩هـ «إلا أنها كدعوة ومنهجية أيديولوجية ظلّت حية في نفوس المرجعيات، التي اتخذت من الحوزات العلمية محضناً، للحفاظ على تلك المنهجية وغرسها في النفوس».

تمثل الفقرة السابقة إحدى أفكار الكتاب الرئيسية، فكتابنا لهذا الشهر «الدولة الصفوية وأثرها على العالم الإسلامي» يبين أن هذه الدولة الشيعية التي قامت في إيران في بداية القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وفرضت التشيع بالقوة، ما زالت إيران اليوم تسير على منهجها، رغم مرور سنوات طويلة على انتهاء الأولى.

والكتاب الصادرة طبعته الثانية في سنة ١٤٢٩هـ(٢٠٠٨م) عن وحدة الدراسات والمعلومات في مجلة منارات، يتحدث الفصل الأول منه عن نشأة الدعوة الصفوية وقيام دولتها، في حيث يتناول الفصل الثاني والأخير آثار الدولة الصفوية على تاريخ العالم الإسلامي.

وبالرغم من صغر حجم الكتاب (٤٥ صفحة)، إلاّ أنه يعطي فكرة تكاد تكون كافية عن تاريخ الصفويين وأهم حكامهم، وعن الويلات التي جلبتها سياساتهم ومؤامراتهم على المسلمين، ثم يسعى لربط الماضي بالحاضر من خلال الحديث عن «الصفويين الجدد» الذين تمثلهم إيران الخمينية، ومن سار على دربها.

إيران وروسيا في سوريا..
«تحالف الإخوة الأعداء»

■■ اختارت إيران، ومن بعدها روسيا «التحالف مع الشيطان» بشار الأسد ضد شعبه، بعد اندلاع الثورة السورية في منتصف مارس «آذار» عام ٢٠١١، وذلك من أجل الحفاظ على مصالحهما الاستراتيجية في المنطقة، حيث دخلت طهران على خط الصراع العسكري في سوريا عام ٢٠١٣ إلى جانب الأسد، بعد نحو عامين من انطلاق شرارة الثورة ضد نظامه الدموي المستبد. وجاء هذا التدخل لنجدة الحليف القديم بدوافع براغماتية «نفعية» محضة، ذات أبعاد سياسية وطائفية، وفي إطار المد الإيراني داخل منطقة الشرق الأوسط.

ولكن، بعد نحو عامين من المعارك الضارية مع قوى المعارضة السورية المسلحة، وتحديدا في منتصف عام ٢٠١٥، وصل الدعم العسكري الإيراني للنظام إلى طريق مسدود، بعد أن سيطرت فصائل المعارضة السورية المسلحة على مدينة «جسر الشغور» الاستراتيجية، وعلى أجزاء كبيرة من سهل الغاب وريف اللاذقية، وبدا أن نظام الأسد ذاهب إلى غير رجعة.

«سليماني» سافر إلى موسكو عام 2015
لإقناع الروس بالتدخل عسكريا
في الصراع السوري

«زواج المصلحة»

في هذه الأثناء، سيطر الفزع على ملالي إيران، خوفا من سقوط حليفهم الأسد من سدة الحكم، مما يعني نهاية الوجود الإيراني في هذا البلد العربي بالغ الأهمية، فسافر الجنرال الدموي قاسم سليماني، قائد «فيلق القدس» في الحرس الثوري الإيراني، إلى موسكو لإقناع القادة الروس بالتدخل في سورية لتغليب كفة النظام على المعارضة المسلحة، والترتيب لزيارة رأس النظام من أجل وضع اللمسات الأخيرة على التدخل الروسي أواخر شهر سبتمبر «أيلول» من عام ٢٠١٥.

ذاته. منذئذٍ، دخل التعاون بين طهران وموسكو مرحلةً جديدة، وجرى تقاسم المهمات بينهما، حيث تضطلع إيران بقيادة الميليشيات الشيعية، على رأسها ميليشيات «حزب الله» وبقايا قوات جيش النظام على الأرض، فيما تتكفل روسيا بتأمين الغطاء الجوي لهذه القوات خلال معاركها البرية الضارية مع المعارضة السورية المسلحة.

غير أن شهر العسل القصير بين موسكو وطهران لم يد طويلا، ففي مرحلة لاحقة، احتدم التنافس بين الدولتين على الإمساك بمقدرات النظام السياسية والعسكرية، ومع مرور الوقت، باتت الكفة تميل إلى مصلحة الروس. وبقيت نقطة الضعف الإيرانية في هذا التحالف في أن الروس هم من أنقذوا الإيرانيين من هزيمة محققة في سوريا، وكان عليهم

التذكير بذلك كلما نشبت الخلافات بينهما بين الحين والآخر.

وبعد التقارب «الروسي- التركي» عام ٢٠١٦، تشكّل تحالف جديد، «روسي - تركي - إيراني»، كضرب من توسيع التحالف «الروسي - الإيراني» ما أتاح لروسيا الخروج من قيود التحالف مع إيران وتوسيع دائرة تأثيرها السياسي لتشمل المعارضة المسلحة بوساطة تركيا، الداعمة للكثير من الفصائل والضامنة لها، فيما أمّن التحالف الجديد لتركيا تجاوز العقبة الأميركية في التوسع شمال سورية، وإمكانية إجراء المقايضات التي توفّر لها السيطرة على بعض المناطق الحدودية.

وأكدت صحيفة «فاينانشال تايمز» البريطانية في تقرير لها أن طبيعة العلاقات الروسية الإيرانية في سوريا هي «تحالف الإخوة الأعداء» ونوع من «زواج المصلحة» لكي يحقق كل طرف منهما مصالحه الاستراتيجية، مشيرة إلى أن في إطار «التعاون المدهش» بين البلدين على الساحة السورية، يبدو وكأن الدولتين تجاوزتا ما كان بينهما من «تناقض ظاهر» وشكوك متبادلة مستمرة منذ عدة عقود من الزمن.

وأشارت الصحيفة إلى أن «العلاقة بين طهران وموسكو على المدى البعيد سوف تتوتر؛ لأن إيران ترى أن سوريا أصبحت مقاطعتها، واستثمروا كثيرًا فيها، والآن جاءت سمكة كبيرة لتنافسهم»!

ويقول أسعد حيدر، الخبير في الشؤون الإيرانية، «إن الخلاف بين روسيا وإيران على الدور في سوريا ينطلق من موقع كل دولة وحجمها، ذلك أن روسيا دولة كبرى، بينما إيران دولة كبيرة إقليميا، وبالتالي فإن الاختلاف سيكون بالموقع والمصالح والأهداف».

ويضيف «حيدر» أن إيران دخلت سوريا لتثبيت موقعها إقليميًا وللسيطرة على الشريط الإقليمي السوري العراقي والاقتراب من (إسرائيل)، لاستثمار ذلك أيديولوجيا عبر قنوات «حزب الله» الإعلامية، بينما دخلت روسيا سوريا لتؤكد أنها دولة كبرى منافسة للولايات المتحدة، وتريد أن تعود دولة كبرى لديها مواقع ثابتة تمتد على خريطة العالم، وستكون سوريا قاعدة مركزية لها على البحر المتوسط مباشرة.

ويرى محللون سياسيون أن «تناقضات غير معلنة» بين الدورين الروسي والإيراني في الصراع السوري،

صحيفة «فاينانشال تايمز» البريطانية:
العلاقات الروسية- الإيرانية» في سوريا
«زواج مصلحة»

حيث إن الأجندة الروسية في سوريا هي أجندة عسكرية سياسية، وتتخذ من سوريا ورقة ضغط لحل مشكلاتها سواء في أوكرانيا أو الدرع الصاروخية، وبالتالي لا يهمها مصير بشار الأسد بقدر ما تهمها مصالحها، أما حرب إيران في سوريا فهي حرب عقائدية، تبحث عن الإمبراطورية الفارسية والهلال الشيعي، ولا تجد إلا بشار الأسد أداة لتحقيق هذا الهدف.

وبينما تدعم طهران بقاء بشار الأسد في الحكم إلى الأبد، ويعتبره المرشد الإيراني علي خامنئي «خطا أحمر» لا يمكن القبول بسقوطه، فإن «الأسد» بالنسبة لروسيا هو مجرد وسيلة للبقاء في سوريا وليس هدفا في حد ذاته، فهو «يخدم موسكو» لكنها لا تمانع من التفاوض على مصيره إذا قبضت «ثمنا سياسيا معقولا» لذلك.

في المقابل، تمتلك طهران قناعة تامة بأن سوريا تعد آخر معاقل الروس فى منطقة الشرق الأوسط،

لذلك سارعت موسكو لاستعراض قوتها عبر التدخل العسكرى، فضلا عن القوة الناعمة والدبلوماسية، لرسم صورة جديدة لها فى الشرق الأوسط.

«خيانة الروس التاريخية»

غير أن دوام الحال من المحال، فقد تغيّرت الأوضاع على الأرض فجأة على إثر الضربات الإسرائيلية الجوية التي استهدفت قوات إيرانية في هضبة الجولان المحتلة ١٠ مايو الماضي، أدت إلى مقتل ٧ عناصر إيرانية، وهي الضربة التي غض الروس الطرف عنها، وكأنها لم تكن، فلم يحركوا ساكنا للدفاع عن حلفائهم.

وأعاد الاتفاق «الروسي- الإسرائيلي» حول سحب القوات الإيرانية من مناطق جنوب غرب سوريا، قرب الحدود مع إسرائيل، مخاوف الإيرانيين من تخلي «الحليف الروسي» عنهم، وجنوح الكرملين إلى التحالف مع إسرائيل، «الشيطان الأصغر»!

وتعليقا على هذا الاتفاق، كتبت صحيفة «قانون» الإيرانية في يونيو الماضي تحت عنوان «المحتال»، قائلة: «يبدو أن خيانة الروس التاريخية ظهرت مجددا»، وأوضحت أنه «منذ فترة تحدثت شخصيات روسية عن محاولات إخراج إيران من مناطق سورية».

وأضافت الصحيفة أن «سلوك موسكو أمام طهران أدى لمعارضة الكثيرين في الداخل الإيراني، حيث انتقد الخبراء ووسائل الاعلام الإيرانية هذا الطموح الروسى، بينما لم يبد المسئولون أي ردود أفعال، ودعت الصحيفة النظام الإيرانى لاتخاذ التدابير اللازمة للتصدى لـ«خيانة موسكو»!

ويرى المراقبون أنه بعد التصعيد الأمريكي الأخير ضد طهران، وقرار الرئيس الأمريكي دونالد ترامب بإلغاء «الاتفاق النووي» مع إيران، سيظل نفوذ طهران داخل مسرح العمليات السورى، أحد أهم الملفات التى تخشى طهران خسارتها، ورغم التناغم الظاهرى بين موسكو وطهران، إلا أن أوساط اعلامية إيرانية قالت إن ابتعاد موسكو عن إيران أمر بات متوقعا فى ظل التنسيق «الروسي- الإسرائيلي» والصفقات الروسية الأمريكية المحتملة فى ملفات المنطقة الساخنة، وعلى رأسها الملف السوري.